

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (٤٦)

[الإسراء: 46]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تَكْتَفِ الْحُجُب
عَلَى الْمَشْرُكِينَ
وَتَنْوَعُهَا
لِلْحِيلُولَةِ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ الْقُرْآنِ
وَفَهْمِهِ

لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ السَّابِقَةَ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾؛ فَأَبْرَزَتْ حِمَايَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُتْرِبِّصِينَ بِهِ أَثْنَاءَ تِلَاوَتِهِ الْقُرْآنَ بِإِيذَانِهِ، وَالتَّشْوِيشِ عَلَى قِرَاءَتِهِ، وَأَنَّهُ سَبَحَانَهُ ضَاعَفَ حِمَايَتَهُ بِمَا عَبَّرَ عَنْهُ بِالْحِجَابِ الْمَسْتُورِ، بَعْدَ ذَلِكَ جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لِتَضِيدَ حِمَايَةَ أُخْرَى، وَعَصْمَةَ أُخْرَى لَكُنْهَا لِلْقُرْآنِ ذَاتَهُ، مِنْ أَنْ يَفْقَهُهُ هَؤُلَاءِ الْمُؤَذِّنُونَ لَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ؛ لِكُونِهِمْ لَيْسُوا أَهْلًا لِذَلِكَ، فَالْقُرْآنُ لَا يَوْفِقُ لِفَهْمِهِ حَقَّ فَهْمِهِ؛ إِلَّا أَهْلُهُ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِلْقُرْآنِ وَجَعَلَهُمْ أَهْلَهُ وَخَاصَّتَهُ، فَقَالَ سَبَحَانَهُ فِي هَذَا: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَجَعَلْنَا﴾: أَصْلُ (جَعَلَ)؛ كَلِمَاتٌ غَيْرُ مُنْقَاسَةٍ، لَا يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَالْجَعْلُ: النَّخْلُ يَفُوتُ الْيَدَ، وَالْوَاحِدَةُ جَعْلَةٌ⁽¹⁾، وَالْجَعْلُ وَالْجَعَالَةُ وَالْجَعِيلَةُ: مَا يُجْعَلُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى الْأَمْرِ يَفْعَلُهُ، وَجَعَلْتُ الشَّيْءَ صَنْعَتَهُ⁽²⁾، وَالْجَعْلُ يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْإِيجَادِ، فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1]، وَيُطْلَقُ بِمَعْنَى التَّصْيِيرِ فَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَكِلَا الْمَعْنَيْنِ صَالِحٌ هُنَا⁽³⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جعل).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاعِبُ، والفَرُوزِيَّادِيُّ، بصائر ذوي التَّمْيِيزِ: 385/2.

(3) ابن عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 54/7.

(2) ﴿أَكِنَّةٌ﴾: (كَنَّ): أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى سِتْرٍ أَوْ صَوْنٍ، يُقَالُ: كَنَنْتُ الشَّيْءَ فِي كِنِّهِ، إِذَا جَعَلْتَهُ فِيهِ وَصْنَتَهُ، وَأَكَنَّتُ الشَّيْءَ: أَخْفَيْتُهُ، وَالْكِنَانَةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَهِيَ الْقِيَاسُ⁽¹⁾، وَالْكِنُّ: كُلُّ شَيْءٍ وَقَى شَيْئًا فَهُوَ كِنُهُ وَكِنَانُهُ، وَالْفِعْلُ مِنْ ذَلِكَ كَنَنْتُ الشَّيْءَ، أَي: جَعَلْتَهُ فِي كِنٍّ، وَكَنَّ الشَّيْءَ: سَتَرَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ أَكَنَّتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: 235] أَي أَخْفَيْتُمْ⁽²⁾، وَالْأَكِنَّةُ: الْأَغْطِيَةُ؛ وَمِنْ الْبَابِ الْكِنَّةُ، كَالْجَنَاحِ يُخْرِجُهُ الرَّجُلُ مِنْ حَائِطِهِ، وَهُوَ كَالسُّتَرَةِ، وَمِنْهُ أَيْضًا: الْكَانُونُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ مَا تَحْتَهُ⁽³⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالْأَكِنَّةِ فِي الْآيَةِ: جَمْعُ كِنَانٍ، وَهُوَ الْغِطَاءُ؛ لِأَنَّهُ يُكِنُّ الشَّيْءَ، أَي يَحْجُبُهُ.

(3) ﴿وَقَرًا﴾: (وَقَر): أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ثِقَلٍ فِي الشَّيْءِ، يُقَالُ: وَقَرَ الشَّيْءُ يَقِرُّ وَقَرًا أَي ثَقُلَ⁽⁴⁾، وَمِنْهُ الْوَقَرُ: الثَّقَلُ فِي الْأَذْنِ، يُقَالُ مِنْهُ: وَقَرَتْ أُذُنُهُ تَوْقَرُ وَقَرًا⁽⁵⁾، قَالَ الْكِسَائِيُّ: وَقَرَتْ أُذُنُهُ فَهِيَ مَوْقُورَةٌ، وَالْوَقَرُ: الْحَمْلُ، وَيُقَالُ نَحَلَةٌ مَوْقَرَةٌ وَمَوْقِرٌ، أَي ذَاتُ حَمَلٍ كَثِيرٍ، وَمِنْهُ الْوَقَارُ: الْحِلْمُ وَالرِّزَاةُ⁽⁶⁾، وَالْمُرَادُ بِالْوَقَرِ فِي الْآيَةِ: ثِقَلُ السَّمْعِ الْمَانِعُ مِنْ وُصُولِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ⁽⁷⁾.

(4) ﴿وَحْدَهُ﴾: أَصْلٌ (وَحْد): أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِنْفِرَادِ⁽⁸⁾، يُقَالُ: لَقِيتُ الْقَوْمَ مَوْحَدَ مَوْحَدٍ، وَلَقِيتُهُ وَحْدَهُ، وَلَا يُضَافُ إِلَّا فِي قَوْلِهِمْ: نَسِجٌ وَحْدِهِ، وَعُمَيْرٌ وَحْدِهِ، وَنَسِجٌ وَحْدِهِ؛ أَي: لَا يُنْسَجُ غَيْرُهُ لِنَفَاسَتِهِ، وَهُوَ مِثْلُ، وَالوَاحِدُ: الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ، وَلَا يُثَنَّى، وَلَا يَقْبَلُ الْإِنْقِسَامَ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مِثْلَ⁽⁹⁾، وَإِذَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَمَعْنَاهُ: هُوَ الَّذِي لَا يَصْحُ عَلَيْهِ التَّجْزِي وَلَا التَّكْثُرُ⁽¹⁰⁾، فَهُوَ مُنْفَرِدٌ بِالذَّاتِ، فِي عَدَمِ الْمِثْلِ وَالنَّظِيرِ⁽¹¹⁾، وَالوَاحِدُ أَيْضًا:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كَنَّ).

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (كَنَّ).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كَنَّ).

(4) الزبيدي، تاج العروس: (وقر).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهرى، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (وقر).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقر).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 355/15.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وحد).

(9) الزاغبي، المفردات، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (وحد).

(10) الزاغبي، للمفردات: (وحد).

(11) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (وحد).

اسمُ بُنَيِّ لِمُفْتَتَحِ الْعَدَدِ، تَقُولُ: جَاءَنِي وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ⁽¹⁾، والمقصود بـ ﴿وَحْدَهُ﴾ في الآية: الْمُنْفَرِدُ، والمراد به: أَنَّهُ مَوْحَدٌ فِي ذِكْرِكَ وَكَلَامِكَ، أَي: ذَكَرْتَهُ مَوْصُوفًا بِالْوَحْدَانِيَّةِ⁽²⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

عند مواضع
التَّوْحِيدِ يَفْرُغُ
الْكَفَّارُ إِنْكَارًا
وَاسْتِبْشَاعًا
لِرَفْضِ آلِهَتِهِمْ
وَاطْرَاحِهَا

الآية الكريمة بيانٌ لما جعله الله سبحانه على حواسهم بسبب جُحُودِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فقال تعالى: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْشِيَةً وَأَغْطِيَةً تَحْجُبُهَا؛ كَرَاهَةً أَنْ يَفْهَمُوا مَعَانِيَ الْقُرْآنِ فَهَمًّا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَجَعَلْنَا فِي آذَانِ الْمُشْرِكِينَ صَمَمًا وَثِقَلًا يَمْنَعُهُمْ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ سَمَاعَ قَبُولٍ لَهُ، وَانْتِفَاعٍ بِهِ، وَإِذَا وَحَّدْتَ رَبَّكَ - يَا مُحَمَّدٌ ﷺ فِي تِلَاوَتِكَ لِلْقُرْآنِ، فَقُلْتَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتَ تَتْلُوهُ؛ أَعْرَضَ الْمُشْرِكُونَ عَنْكَ، نَافِرِينَ مُسْتَكْبِرِينَ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ؛ مِنْ شِدَّةِ كَرَاهِيَّتِهِمْ لِهَذَا الْحَقِّ، وَمَحَبَّتِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ⁽³⁾.

❁ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

دلالة العطف في ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

مَنْ يُؤْذِي رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يُعَاقَبُ
بِالْخِزْيِ

جملة: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ معطوفة على جملة: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾؛ للدلالة على أن الله تعالى عاقب المؤذنين لرسول الله ﷺ بما تضمنته جملتا (جعل).

دلالة إعادة الفعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

تكرير الجعل
لاختلاف دلالة
كل جعل

في إعادة الفعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾ إيدانٌ بترجيح أن كل آية منهما تؤسس لمعنى جديد، وأن ليست الثانية بياناً لل الأولى "فيرجح أن يكون

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، وابن منظور، لسان العرب: (وحد).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 118 / 15.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 14 / 609، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10 / 271، وابن كثير، تفسير

القرآن العظيم: 5 / 82، والشنقيطي، أضواء البيان: 3 / 160.

جعلُ الحجاب المستور جعلَ الصرفة عن الإضرار، ويكون هذا جعلُ عدم التدبر في القرآن خلقة في نفوسهم⁽¹⁾.

التعبير بالمضي ﴿وَجَعَلْنَا﴾، وإسناده إلى ضمير العظمة:

عبر بالفعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾ ماضياً ومسنداً إلى ضمير العظمة، "للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم، كأنهم مجبولون عليه"⁽²⁾ أي: خلقهم وطبعهم على هذه الخصلة الذميمة، والتعقل المنحرف، الذي يمنعهم من اتباع الحق⁽³⁾.

دلالة التعبير بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾:

التعبير بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ دلالة أنَّ الأَكِنَّةَ كائنة فوق قلوبهم، مستعليةٌ عليها؛ لتحول دون وصول الحقائق والمعارف القرآنية إليها.

غرض تقديم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ على ﴿أَكِنَّةً﴾:

قدّم الجار والمجرور ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ على المفعول به ﴿أَكِنَّةً﴾ للدلالة على الاختصاص، فهذه الأكِنَّة جاثمة على قلوبهم هم، دون غيرهم ممن فتح الله لهم باب الفهم في القرآن، وهم المؤمنون المخلصون، وفيه تنديد بهم؛ إذ إن إصرارهم على إيذاء النبي ﷺ في قراءته، وعلى الإعراض عن القرآن، قد عرّضهم لهذا الحكم الإلهي. وقيل: إن فائدة هذا التقديم هو التنبيه على تعلق الجار والمجرور بـ ﴿وَجَعَلْنَا﴾ من أول الأمر⁽⁴⁾.

دلالة جمع لفظ ﴿أَكِنَّةً﴾:

قوله ﴿أَكِنَّةً﴾ جمع ومفرده: كِنَان، وأصل مادته: (كنن)، "و(أَفْعَلَة) يتعين في (فِعَال) المكسور الفاء، إذا كان عينه ولامه

المشركون
مطبوعون على
عدم فهم الحق

بيان أنَّ الأكِنَّة
مستعلية
عليهم قاهرة
لهم

الأكِنَّة جاثمة
على صدور
المشركين دون
سواهم

الجمع محتمل
للقلة والكثرة
لكونه متعيناً في
جمع (كنان)

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 117 / 15.

(2) الرّمخسري، الكشف: 14 / 2.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 179 / 7.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 180 / 7.

مثلين⁽¹⁾ ومعنى كونه متعيّنًا أي: سواء قصد به جمع القلة أو الكثرة، فليس له إلا هذا الجمع⁽²⁾، وعلى هذا، فإن كان المراد جمع الكثرة - وهو الأظهر - فالمعنى واضح، أي: جعلنا على قلوبهم أغطية كثيرة لحجبها عن معرفة الحقائق القرآنية، ولو كان المراد به جمع القلة، فالمعنى: إن غطاءً واحداً على القلب يكفي في حجبهِ عن وصول الحقائق إليه، فكيف إذا كانت على القلب أغطية تغلفه، وليس غطاءً واحداً؛ والمقام يرجح الأول وهو معنى الكثرة⁽³⁾.

دلالة حذف حرف الجرّ من المصدر المؤوّل ﴿أَنْ يَفْقَهُوْهُ﴾

للمنع قاهر أبداً لا
يزول

قوله: ﴿أَنْ يَفْقَهُوْهُ﴾ منصوب على المفعول لأجله، على تقدير مضاف كراهة ﴿أَنْ يَفْقَهُوْهُ﴾⁽⁴⁾.

وقيل أصل العبارة: (من أن يفقهوه) فحذف حرف الجر، فصار المصدر منصوباً على نزع الخافض أي: من أن يفقهوه والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿أَكِنَّةً﴾ لأن فيها معنى المنع من الفقه، فكأنه قيل: ومنعناهم أن يفقهوه⁽⁵⁾.

وقيل: بل النصب على أنه مفعول به على تأويل الجملة، بمعنى المنع، كقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: 249] فإنه في معنى: لم يُطيعوه⁽⁶⁾.

إثبات التعبير بالمصدر المؤوّل دون الصريح:

أوثر التعبير بالمصدر المؤوّل ﴿أَنْ يَفْقَهُوْهُ﴾، على المصدر الصريح؛ لاشتماله على الفعل المضارع، وهو أدل على المعنى المراد وهو الاستمرارية والتجدد، في عدم فقههم عن القرآن مراداته.

المصدر المؤوّل
يبدل على
الاستمرار
والتجدد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 179 / 7.

(2) السمين، الدّر للصون: 4 / 577.

(3) الألوسي، روح المعاني: 8 / 84.

(4) السمين، الدّر للصون: 4 / 577، والهمداني، الكتاب الفريد: 4 / 193.

(5) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5 / 450.

(6) الطيّبي، حاشية الطيّبي على الكشف: 9 / 307.

الغرض من التعبير بالمفعول به ضميرًا غائبًا:

عبر عن المفعول به بالضمير الغائب، في قوله: ﴿أَنْ يَفْقَهُوْهُ﴾
للعلم بعائده، فهو عائد إلى القرآن المصرح به في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا
قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾.

التعيين يقتضي
الحذف للعلم
به

دلالة الواو في ﴿وَفِي آذَانِهِمْ﴾:

الواو في قوله ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَأَ﴾ هي العاطفة لهذه الجملة على
التي قبلها ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ﴾ أي: (وجعلنا في آذانهم وقرا)؛ فالواو
دلّت على أن الله تعالى جمع لهم بين هذين النوعين من الحوائل
بينهم وبين الفهم الصحيح عن القرآن، لعدم أهليتهم له، فالقرآن
لا يسكن إلا القلوب العامرة بالإيمان، ولا يفهم عنه إلا الموفق من قبل
الرحمن؛ لأنه كما قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ
مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: 77 - 79].

الواو عاطفة
جامعة

نكتة حرف الظرفية ﴿وَفِي﴾ مقابل حرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾:

إذا كانت ﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قد أوثرت لإفادتها
الاستعلاء، وهي الأنسب في مكانها لكون الأغشية إنما تكون فوق
الشيء وعليه لا في داخله؛ فإن ﴿وَفِي﴾ في قوله: ﴿وَفِي آذَانِهِمْ﴾
المفيدة للظرفية، أنسب كذلك في مكانها للدلالة على تمكن الوقر
من آذانهم واستغراقه منفذها وتجويفها.

الوقر متمكن
منهم مستقر
فيهم

غرض تقديم ﴿وَفِي آذَانِهِمْ﴾ على ﴿وَقَرَأَ﴾:

في تقديم الجار والمجرور ﴿وَفِي آذَانِهِمْ﴾ على المفعول به ﴿وَقَرَأَ﴾
للدلالة على الاختصاص، فهم دون غيرهم قد جعل الله لهم في
آذانهم الوقر، كما جعل على قلوبهم الأكنة، وفائدة الاختصاص
إخراج المؤمنين من هذا الحكم، والتنديد بمن صدق عليهم هذا
الحكم الإلهي، وقيل: إن فائدة هذا التقديم هو التنبيه على تعلق

الدلالة على
الاختصاص،
وتعلق المفعول
بالفعل (جعلنا)

الجار والمجرور بـ ﴿وَجَعَلْنَا﴾ من أول الأمر⁽¹⁾؛ كما مضى في تقديم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أيضاً على المفعول ﴿أَكِنَّةً﴾.

غرض تنكير المفعول به ﴿وَقَرَأَ﴾:

التنكير للتفخيم
والتهويل

نكّر المفعول به ﴿وَقَرَأَ﴾ لتفخيمه وتهويله، فكأن ما أصابهم هو صمم شديد يحول بينهم وبين سماع أي لفظ من القرآن، "فكأنه - أي: الوقر - جمع خرقها، فصيرها صلداً كالصخرة الصماء لا ينفذ فيها شيء"⁽²⁾.

دلالة التمثيلات المتلاحقة:

الجميل التمثيلية
ودلالاتها

نحن هنا أمام ثلاث صور بلاغية، في ثلاث جمل تمثيلية هي: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ على وجه آخر فيها، فقد مضى احتمال كونها مجازاً عقلياً، و﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، و﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾.

وهذه تمثيلاتٌ مُعْرِبَةٌ عن كمال جهلهم بشؤون النبي ﷺ وفرطِ بُبُو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم، ومَجَّ أسماعهم له؛ جيء بها بياناً لعدم فقههم لتسبيح لسانِ المقالِ، إثر بيانِ عدم فقههم لتسبيح لسانِ الحال، وايداناً بأنَّ هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يُتَصَوَّرُ عدم فهمه إلا لمانع قوي يعتري الشاعر فيُبْطِلُها، وتبنيهاً على أن حالهم هذا أقبح من حالهم السابق⁽³⁾.

دلالة العطف في ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ﴾:

هذه الجملة ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ﴾ معطوفة على الجملة السابقة، لبيان مزيد من تجافيتهم عن القرآن وصدودهم عنه عند قراءتك إياه.

بيان زيادة
تجافيتهم
عن القرآن
وصدودهم عنه

نكتة التعبير بأسلوب الشرط ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ﴾:

سر إثارة التعبير في الشرط بـ (إذا) دون (إن) الدلالة على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 180 / 7.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 429 / 11.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 176 / 5.

تحقق قراءته ﷺ للقرآن على المشركين، فذلك أمر مجزوم به؛ لأنه بعث لتبليغه إلى الناس، وأيضاً لما تفيده (إذا) من معنى الظرفية المحققة، فهي تحقق المؤقت، والمعنى: أنك عندما تقرأ القرآن وتذكر الله تعالى وحده يحصل منهم هذا النفور.

دلالة التعبير بالماضي ﴿ذَكَرْتُ﴾:

عبر بالماضي للدلالة على ما تفيده صيغة الماضي من تحقق الوقوع، لكن الماضي هنا قد محضته (إذا) للدلالة على الاستقبال.

غرض إسناد الفعل ﴿ذَكَرْتُ﴾:

التعبير بـ (تاء الخطاب) عن المسند إليه في قوله: ﴿ذَكَرْتُ﴾ تشريف للمخاطب ﷺ، وتهيئة لفؤاده؛ كي لا يستوحش ممّا سيلقيه من قومه من إعراض ونفور عند قراءته القرآن، وذكره ربه في قراءته.

دلالة التعبير بالمفعول به مضافاً ﴿رَبِّكَ﴾:

في إضافة اسم (الرَّبِّ) تعالى مضافاً إلى ضمير المخاطب ﷺ، تشريف للمخاطب، وإبراز لقدره العلي عند ربه.

سرّ تقييد الفعل بالجارّ والمجرور ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾:

الذي يظهر، هو أنّ المشركين كانوا يُفَرِّقون بين أن يذكر الرسول ﷺ خارج القرآن، أو أثناء تلاوته القرآن، وذلك لأنهم كانوا يولون القرآن الكريم عناية خاصة وانتباهاً خاصاً؛ لما يشتمل عليه من تراكيب بلاغية راقية ذات دلالات عالية، بحيث كان القرآن يجذبهم إلى سماعه جذباً، لكونهم عرباً خلصاً مطبوعين على البلاغة والانجذاب للكلام الراقي البليغ، فكيف إذا كانت هذه البلاغة هي بلاغة القرآن المعجزة، وبينما هم على هذه الحالة يفاجئهم الرسول ﷺ، بأن يذكر الله تعالى وحده في تلاوته للقرآن، فيصيبهم ما يشبه الصدمة حيث لم تذكر آلهتهم مع الله، لأنهم كانوا ينشدون الشرك لا الوجدانية،

الأداة الشرطيّة
والظرفيّة، وهي
دالة على تحقق
المؤقت

تمخّض الماضي
للاستقبال
لدخول (إذا)
عليه

الخطاب
لرَسُولِ ﷺ
وفيه تشريف له

في الخطاب
تشريف
للمخاطب
المعصوم

تأثر العرب
بالقرآن،
بإعراضه عن
ذكر آلهتهم
بالحسنی

ولهذا كان لذكر الجار والمجرور ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ ما يدل على هذا، وأما ذكره لربه الواحد خارج القرآن، فلم يكن يُحَدِّثُ فيهم ما كان يُحَدِّثُهُ ذكره سبحانه في القرآن، لما ذكرنا، وقيل: تخصيص الذكر بالكون في القرآن؛ لمناسبته الكلام على أحوال المشركين في استماع القرآن، أو لأن القرآن مقصود منه التعليم والدعوة إلى الدين، فخلو آياته عن ذكر آلهتهم مع ذكر اسم الله، يفهم منه التعريض بأنها ليست بآلهة، فمن ثم يغضبون كلما ورد ذكر الله، ولم تذكر آلهتهم، فكونه في القرآن هو القرينة على أنه أراد إنكار آلهتهم⁽¹⁾.

إعراب قوله: ﴿وَحَدَّهُ﴾ وسرّ تقييد الفعل بالحال:

قوله تعالى
﴿وَحَدَّهُ﴾ منصوب
على الحال

قوله تعالى: ﴿وَحَدَّهُ﴾ - على الأرجح - منصوب على الحال، من قوله: ﴿رَبَّكَ﴾ وهو وإن كان معرفةً لفظاً، لكنه في قوة النكرة؛ إذ هو في معنى (منفرداً)، ثم اختلف هل هو مصدرٌ أو اسمٌ موضوعٌ موضعَ المصدر، الموضوع موضعَ الحال، ف ﴿وَحَدَّهُ﴾ وُضِعَ موضعَ (إيجاد)، و (إيجاد) وُضِعَ موضعَ (مَوْحَد) وهو مذهب سيبويه، والمعنى على توجيهه سيبويه: وإذا ذُكِرْتَ رَبَّكَ مَوْحَدًا لله⁽²⁾.

سرّ تقييد الفعل بالحال:

توليّ المشركين
بسبب عدم ذكر
آلهتهم

وقوله ﴿رَبَّكَ﴾ هو صاحب الحال ﴿وَحَدَّهُ﴾، وهو أيضاً مفعول ﴿ذُكِرْتَ﴾ ومعنى الحال الدلالة على وجود الوصف في الخارج ونفس الأمر، أي: كان ذكرك له، وهو موصوف بأنه وحده في وجود الذكر، فيكون تولي المشركين على أديبارهم حينئذ من أجل الغضب من السكوت عن آلهتهم، وعدم الاكتراث بها، بناء على أنهم يعلمون أنه ما سكت عن ذكر آلهتهم، إلا لعدم الاعتراف بها⁽³⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 119 / 15.

(2) السمين، الدر المنصون: 363 / 7.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 118 / 15.

دلالة التعبير بجواب الشرط ماضياً ﴿وَلَوْ﴾:

آثر التعبير بجواب الشرط ماضياً ﴿وَلَوْ﴾؛ لما تقيده صيغة الماضي من تحقق الوقوع، وإن كان الماضي هنا في معنى الاستقبال.

سرّ تقييد الفعل ﴿وَلَوْ﴾ بالجارّ والمجرور:

التعبير بقوله: ﴿عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ﴾ كناية عن شدة الإعراض والصدود عن القرآن، وعن ذكر توحيد الله فيه، فمعنى ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ﴾ أي: عادوا إلى الوراء إعراضاً عن القرآن، بدل أن يمضوا إلى الأمام إقبالاً عليه، وعدّي الفعل ﴿وَلَوْ﴾ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ الدالة على الاستعلاء، أي: استعلاء طريق السير، حيث نزلت الأدبار التي يكون السير في جهتها، منزلة الطريق الذي يسار عليه⁽¹⁾.

تنوّع إعراب ﴿نُفُورًا﴾ وأثره على المعنى:

في لفظ ﴿نُفُورًا﴾ ثلاثة وجوه إعرابية:

أحدها: أنّه مصدرٌ على غير الصّدر - أي: من غير فعله - لأنّ التّوليّ والنّفور بمعنى فيكون كالشُّكور والكُفُور، فهو إذن بمعنى تَوَلِيَّةٍ، أو لَأَنَّ وَلَوْ بمعنى: نفرُوا.

ثانيها: أنّه حالٌ من فاعل ﴿وَلَوْ﴾، وهو حينئذٍ جمع نافرٍ، كقاعِدٍ وقُعودٍ وجالسٍ وجُلوسٍ.

والمعنى: وَلَوْ أو رجعوا نافرين، والضّميرُ في ﴿وَلَوْ﴾ الظّاهر عودُه على الكفّار⁽²⁾.

ثالثها: ويجوز جعله مصدرًا منصوبًا على المفعوليّة لأجله؛ أي: ولوا بسبب نفورهم من القرآن⁽³⁾.

التعبير بالماضي
عن المستقبل
إفادة لتحقيق
الوقوع

الكناية في قوله
(عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ)

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 163 / 6.

(2) الهمذاني، الكتاب الفريد: 193 / 4، والسمين، الدر للصون: 364 / 7، والبقاعي، نظم الدرر: 429 / 11.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 119 / 15.

تأكيد وجه
التّوَلَّى فصح
لهم

سر تقييد الفعل بـ ﴿نُفُورًا﴾:

سر تقييد الفعل ﴿وَلَّوْا﴾ بـ ﴿نُفُورًا﴾ هو كونه مصدرًا مؤكدًا له، وإن كان من غير فعله؛ لأن (وَلَّوْا) و(نُفُورًا) متقاربا المعنى، أو هما بمعنى⁽¹⁾، فيقال: نفر عن الشيء إذا تولى عنه وأعرض وفزع عنه، وعكسه نفر إليه، أي: فزع إليه، وأقبل عليه، كما يُقال: نفر إلى الحرب⁽²⁾.

(1) الهمذاني، الكتاب الفريد: 4 / 193

(2) الرّاعب، المفردات: (نفر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-25-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»